2- الإسلام والمسيحية (قراءة في وجودهما المستقبلي)

بقلم الأستاذ الدكتور: مشتاق بشير الغزالي والمدرسة المساعدة:هبه حسين الرماحي
كلية التربية للبنات. جامعة الكوفة. جمهورية العراق
mushtaq.alghazali@uokufa.edu.iq

لم تنشأ أي علاقة ودّ وسلام بين مركزي الديانتين[1]المسيحية والإسلامية على امتداد التاريخ. لقد شكل التصريح القرآني الفاضح للمغالطات المسيحية لا سيما التي طالت العقيدة حاجزاً صلداً منعهما من إقامة علاقات ودّية حتى يومنا هذا، ففي قوله تعالى. ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا. لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا))[2] هذه الحقيقة التي صرح بها القرآن الكريم شكلت العقدة الرئيسة التي منعت أي علاقات ودّية حتى يومنا الحاضر، إذ لم يكن بمقدور المسلم أن يغض الطرف عن هذه الحقيقة القرآنية التي أكدت وحدانية الله تعالى، في المقابل فإن المسيحي مازال متمسكاً بعقيدته التي عليها الكثير من الغموض وفيها الكثير من التناقضات والتي لا تقول صراحةً بوحدانية الله تعالى.

. لقد عبر المسيحيون عن عدائهم للإسلام بطرق متعددة تمثلت باستخدام القوة والضرب بالسيف ومحاولة اجتياح العالم الإسلامي في ما عرف بالحملات الصليبية التي استمرت قرابة قرنين من الزمن حينما بدأت بتاريخ (490هـ /1096م) [3]، إلا أنهم فشلوا في تحقيق حالة التفوق على المسلمين فزاد ذلك من مشاعر العداء والكراهية، ولجأوا الى الحرب الفكرية عبر اهتمامهم الكبير بالقرآن الكريم أملاً في إيجاد الثغرات والتناقضات فيه لضرب الإسلام وإضعاف تأثيره وزعزعة إيمان المسلمين به .

. إن الخطأ الكبير الذي ارتكبه المسيحيون طوال القرون الماضية من العلاقة مع المسلمين أنهم انشغلوا بدراسة القرآن الكريم بهدف تشخيص أخطائه وإثبات منشئه البشري لا الإلهي. كان الأولى بهم لبلوغ هدفهم في إضعاف المسلمين أن يركزوا فقط على موقف المسلمين ودرجة اتباعهم لتعاليم الإسلام وأحكامه ومدى التزامهم بما ورد في القرآن الكريم من أحكام وتشريعات وأوامر ونواهٍ إلهية، فمن السهل جداً إثبات حالة انحراف قادة المسلمين عن اتباع التعاليم الدينية بعد أن ارتكبوا الفواحش وغالوا في مظاهر الفساد والظلم والاعتداء على حقوق الناس بما يتناقض مع تعاليم القرآن الكريم، لا سيما في عهد الدولتين الأموية والعباسية وما تفرع عنهما من دويلات وإمارات في شرق العالم الإسلامي وغربه.

. إن عدم التزام المسلمين بقرآنهم يشكل حالة انحراف واضحة تساوي في القيمة والمعنى الانحراف الذي أصاب المسيحيين وأبعدهم عن أصل المسيحية الحقة التي جاء بها عيسى عليه السلام، إلا أن الفارق بين الحالتين هو أن كتاب المسلمين قد أوضح عقيدة التوحيد وحفظها من التلاعب والتحريف

(1) مع أننا نؤمن أن الدين واحد كونه صادرا من الله تعالى ولا يمكن أن يكون متعددا، أما المسميات فهي شرائع سماوية منبثقة من أصل هذا الدين الواحد، إلا أننا هنا نضطر إلى استعمال مفردة أديان لأن القارئ درج على فهم اليهودية، المسيحية، الإسلام على أنها أديان متعددة .

(2) سورة النساء، الآيات (175-171) .

(3) للتفصيل حول الحملات الصليبية ينظر. رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، 1967م، ثلاثة اجزاء .

بوجود نصوص صريحة وواضحة لا لبس فيها ببيان هذه العقيدة: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [1] كما أن الله تعالى قد تكفل بحفظ القرآن من التلاعب والضياع كما في قوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[2] ولو افترضنا جدلاً أن الله تعالى لم يتدخل لحفظ نصوص القرآن لما وجدنا أنفسنا اليوم بهذا الثبات والوضوح في عقيدتنا. أما الأناجيل كتب المسيحيين فقد أخفقت في التعبير عن العقيدة بشكل واضح وسليم وهذا الامر طبيعي جداً لأنها لم تكتب إلا في أوقات متأخرة جداً عن عهد عيسى عليه السلام [3] وهذا الأمر يسمح بطبيعة الحال أن تحتوي هذه الكتب على مفاهيم غير دقيقة ومعلومات غير صحيحة.

الشرق الأوسط نموذج للصراع المسيحي الإسلامي

لقد عانت كثيراً بيئة الشرق الأوسط([4]) بما شهدته من صراع دموي بين الديانتين[5]، وبالرغم من ذلك تمكنت هذه البيئة من المحافظة على التنوع الديني والثقافي لأبنائها بوجود المساجد والكنائس جنباً الى جنب. إن ارتباط أفراد هذه البيئة بالأرض دفعهم الى خلق حالة اندماج اجتماعي وثقافي وسياسي فريدة مع المحافظة على خصوصية كل معتقد. ساعد في ذلك انفصال المسيحيين ضمن هذه البيئة عن مركز المسيحية في أوربا بعد أن تعاملوا معهم على أنهم زنادقة وانحرفوا عن المسيحية الحقة [6] وبذلك انقطع التواصل والارتباط بينهما مما ساعد على اندماجهم مع المسلمين في هذه المنطقة.

لقد أشار أحد كبار المستشرقين لذلك الأمر بقوله: «واحد من أهم إنجازات الإسلام هو إزاحة المسيحية من ثقافة وحياة الشرق الأوسط. كانت هنالك مناطق واسعة عُد سكانها ضمن الكيان الداخلي للمسيحية فأصبحت جزءا من الكيان الداخلي للإسلام. [7]. وفي نص آخر يقول: «في مناطق معينة فشلت المسيحية ونجح الإسلام. المناطق التي كانت المسيحية سائدة فيها أصبحت إسلامية بحته، ففي آسيا الصغرى وتركيا الأوربية يبدو أن المسيحيين الشرقيين قد أزيحوا وحل محلهم آخرون من المسلمين أو الذين أصبحوا مسلمين، وفي مناطق أخرى تحول المسيحيون الى مسلمين ... يبدو أنه من المعقول الاعتقاد بأن من بين الشعوب المسيحية الشرقية هنالك العديد ممن أصبح مسلماً لأنهم وجدوا في الإسلام تعبيرا عن التوحيد أكثر ملاءمة لعقليتهم المتميزة من تلك التي تقدمها المسيحية. ([8]) .

إن المنافسة والصراع بين المسيحية والإسلام مازال قائماً منذ قرون طويلة على هيئة تدبير وتخطيط ومبادرة من قبل رجال المسيحية في حين أن التحركات الإسلامية غلبت عليها العفوية والقسم الأكبر منها كان عبارة عن ردود أفعال وتحركات دفاعية أمام حملات التبشير ومحاولات التنصير وإزاحة الإسلام من عقول المجتمعات الشرقية، مستفيدين من التفوق المادي الذي شعر به المسيحيون في العصر الحديث بشكل خاص ومنحهم الثقة نحو المزيد من العمل لإزاحة الإسلام. إلا أنهم لم يدركوا

(1) سورة الإخلاص كاملةً .

(2) سورة الحجر، الآية (9) .

(3) ينظر: بارنز، هاري المر، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبدالرحمن برج، الهيئة المصرية العامة للكتاب،. القاهرة. 1984)، جـ 1، ص74.

(4) مع أنه مصطلح حديث يعود الى خمسينيات القرن التاسع عشر الميلادي ولكنه يشير الى ذات المنطقة التي نتحدث عنها هنا وتشمل: بلدان غرب آسيا ومصر المطلة على البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي .

(5) ينظر. الغزالي، مشتاق بشير، الوحي والقرآن ومستقبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، 2017،. ص 201-198 .

(6) Watt, Montgomery ,Isamic revelation in the modern world,Edinburgh, 1969, p. 94

(7) Ibid, p. 95

(8) ينظر: جنيبير، شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة عبدالحليم محمود، المكتبة العصرية، بيروت، لا.ت،. ص 147- 163 .

أن التفوق المادي وحدهُ لا يكفي للتأثير على الشعوب أصحاب العقيدة الراسخة لتحويلهم نحو عقائد أخرى. المسيحيون كانوا بحاجة الى تقديم عقيدة بديلة تتفوق على عقيدة التوحيد الإسلامية وهذا لم يتحقق لأن ديانتهم كانت أضعف بكثير من أن توضع كبديل للديانة الإسلامية.

من المهم الالتفات الى أن المسيحية تعاني من إشكاليات ضخمة على مستوى فهم المسيحيين أنفسهم لجوهر ديانتهم والاسس التي قامت عليها وبشكل خاص الجانب العقيدي. ليس تجاوزاً إذا ما قلنا إن المسيحية بصورتها الحالية ديانة هشة ضعيفة لا تمت للمسيحية الحقة بأي صلة، يكفي القول إنها لم تقدم تصورا واضحا ومقبولا ومتزنا لطبيعة نبي الله عيسى عليه السلام على الرغم من كل المّجمعات اللاهوتية التي عقدت منذ القرن الرابع الميلادي، وكان أبرزها مّجمع خلقدونية عام (451م) الذي تصدى لتعريف طبيعة السيد المسيح عليه السلام، فوقع الخلاف بين علماء المسيحية ما أدى الى انفصال الكنائس الشرقية (القبطية، الأرمنية، السريانية. عن الشراكة مع الكنائس الغربية. كان سبب انفصالهم أنهم رفضوا ما نتج عن هذا المجمع اللاهوتي من القول بأن السيد المسيح عليه السلام اجتمعت فيه الطبيعتين (الطبيعة الإلهية الكاملة والطبيعة البشرية الكاملة) ([1]).

إن الارتباك وعدم الوضوح الذي طال العقيدة المسيحية تسبب في ضعف هذه الديانة وعدم تماسكها، فالعقيدة تشكل الركن الأساس لقيام أي ديانة، وأي غموض أو تناقض فيها يسبب انهيار الدين برمته. لقد فشل رجال المسيحية في بلورة صورة واضحة للمسيح عليه السلام إذ لم يوضحوا بدقة من هو؟ هل هو الخالق أم المخلوق؟! تحدثوا عن الأب، وعن الابن، وعن الطبيعة المشتركة بينهما، فأوقعوا أنفسهم في لبس كبير حينما جعلوا عقيدتهم قائمة على ثلاثة أقانيم متساوية لم تتضح صورة عيسى عليه السلام خلالها هل هو الخالق أم المخلوق؟!

إن كل ما تقدم يمثل إشكالية واحدة فشلت المؤسسة الدينية المسيحية في حسمها بشكل مقبول ومقنع، وهذا على أقل تقدير كفيل بجعل المسيحية ديانة ضعيفة غير قادرة على مواجهة ومنافسة الإسلام، كما أن ذلك يفسر لنا أبرز أسباب تراجعها وانحسارها في مناطق وأقاليم كانت في وقت ما تشكل ثقلا واضحا لتواجدها كمنطقة الشرق الأوسط.

قوة الإسلام وأسباب انتشاره السريع

في المقابل وأمام تراجع المسيحية في البيئة المركزية لها برز الإسلام كمنافس خطير لها من خلال سرعة انتشاره وتزايد أعداد معتنقيه يوماً بعد آخر. بغضّ النظر عن الأسباب المادية التي ادت الى هذا الواقع لا يمكن إغفال مشيئة الله تعالى في أن ينتشر دينه الحق وشريعته المتكاملة التي بعثها على يد الحبيب المصطفى محمد. الى عامة الناس كما جاء في قوله تعالى. ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا)) ([2]) .

إن جميع المحاولات الغربية لإضعاف الدين الإسلامي والطعن فيه والعمل على زعزعة تأثيره في نفوس المسلمين بشكلٍ خاص واتباع الأديان الأخرى بشكلٍ عام، لم توقف انتشاره السريع بشهادة اهم المراكز البحثية في بلدان الغرب. إن التقارير الصادرة من هذه المراكز تؤكد أن الدين الإسلامي هو أسرع الأديان انتشاراً، كما توقعوا له أن يصبح الدين الأول عالمياً بعد عدة قرون إذا ما استمر على هذا النحو المتصاعد، وفي مقدمة تلك المراكز البحثية التي أكدت هذه التوقعات مركز بيو للأبحاث وهو مركز أبحاث امريكي مقره في واشنطن ومتخصص في الشعوب ونمو الأديان في العالم، من بين تقاريره المهمة تقريرهُ حول أعداد المسلمين في العالم وتوزيعاتهم.

(1) جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها. ص 157 .

(2) سورة الفتح، الآية (28) .

لقد جاء في هذا التقرير ان اعداد المسلمين ستبلغ بحلول عام (2050م) حوالي مليارين وثمانمائة مليون نسمة وبنسبة تعادل 30% من عدد سكان العالم، في حين ان اعداد المسلمين وفقاً للتقرير نفسه كانت بحدود مليار وستمائة مليون نسمة في عام (2010م) ([1]). إن هذه الزيادة المتوقعة في اعداد المسلمين لا تنافسها أي زيادة أخرى على مستوى النمو لجميع الأديان، والامر لا ينحصر بمعدلات الولادة العالية عند المسلمين مقارنةً بمعدلات الولادة عند غيرهم، بل يتسع ويشمل عوامل أخرى منها: المراكز الإسلامية التي أنشئت في الدول الغربية واخذت بالازدياد في السنوات الأخيرة وما تلعبهُ من دور واضح في التواصل مع أبناء تلك المجتمعات والعمل على جذبهم بصورة غير مباشرة ([2]). إن السماح للمسلمين بإقامة تلك المساجد والمراكز الإسلامية وممارسة العبادات بحرية تامة ساعد كثيراً على تعريف أبناء تلك المجتمعات بالإسلام، ففي تقرير لأحد المراكز الاجتماعية التابعة لجامعة جورجيا الأمريكية ورد أن عدد المساجد في الولايات المتحدة الامريكية بلغ (1209) مسجداً تم بناء أكثر من نصفها خلال العقدين الماضيين وساهم ذلك في اعتناق أعداد كبيرة من الشعب الأمريكي للإسلام ([3]) .

من العوامل الأخرى التي ساعدت على هذا النمو السريع: الثبات العقائدي الذي تمتع المسلم به، إذ يتفرد بين أتباع باقي الأديان في كون الفرد فيه يولد ويموت وهو محافظ على دينه وعقيدته، مما يشكل عاملاً رئيساً في استمرار النمو السكاني للمسلمين. إن الثبات العقائدي لدى المسلمين يقوم على جملة من القواعد المتينة التي منحت المسلم وضوحا في الرؤية وقناعة تامة وشعورا بالرضا، فعلى الصعيد الفكري أخرجت العقيدة الإسلامية الإنسان من عالم الخرافات والجهل الى محطات العلم وطرق تحصيله عبر البحث والتأمل واستخدام العقل كما في قوله تعالى: ((فَلْيَنْظُرِ الْإِنسان مِمَّ خُلِقَ)) ([4]) .

أما على الصعيد الاجتماعي فقد دفعته العقيدة الإسلامية نحو روابط الأخوة والمشاركة والمساواة ضمن كتلة بشرية واحدة رافضة لكل أشكال التفرقة الاجتماعية للمسلمين التفرقة التي قد تنشأ داخل المجتمعات بفعل الفوارق المادية أو العرقية أو حتى السياسية.

أما على الصعيد الأخلاقي فقد أراد الله تعالى بهذه العقيدة أن تزرع في نفوس المسلمين الإيمان التام برقابة الخالق لأفعالهم وأقوالهم وسكناتهم وما يتبع ذلك من ثواب جزيل او عقاب مما يؤدي الى تنمية الأخلاق الفاضلة لدى المسلمين.

إن العقيدة الإسلامية كانت واضحة في بيان المسائل الهامة أمام أتباعها، فمسألة مبدأ الخلق ومعادهُ أو الغاية من وجود الإنسان، ومن أين جاء، جاءت واضحة وصريحة في أن للإنسان خالقاً حكيماً قادراً لا يُنال بالحواس ولا يقاس بالناس وأن الإنسان وجد لغاية سامية وهي عبادة الله تعالى والوصول من خلالها الى أرفع درجات التكامل والخلود ([5]) .

إننا أمام وضوح كبير في العقيدة الإسلامية لا نجدهُ في العقائد الدينية الأخرى التي تشوبها التناقضات وتبقى ناقصة غير مكتملة ولعل العقيدة المسيحية أبرز مثال على ذلك فأتباعها يؤمنون بوجود الخالق ولكنهم في ذات الوقت يشبهونه بخلقه عندما يساوون بين الله تعالى وعبده عيسى بن

(1) للاطلاع على تفاصيل هذا التقرير ينظر مركز بيو للأبحاث على الموقع الإلكتروني : www.pewresearch.org

(2) ينظر. فودة، أحمد، الغرب وسرعة انتشار الإسلام في العالم، مقال منشور في صحيفة بوابة الشرق الإلكترونية، (الاربعاء 8/4/2015) .

(3) فودة، احمد، الغرب وسرعة انتشار الإسلام (مقال منشور).

(4) سورة الطارق، الآية (5).

(5) ينظر. ذهبيات، عباس، دور العقيدة في بناء الإنسان، منشورات مركز الأبحاث العقائدية، قم، 2005م، 125.

مريم (ع).

إن ثبات العقيدة ووضوح قواعدها امام المسلمين وامام غيرهم من أتباع الأديان الأخرى ساهم بدرجة كبيرة بالمحافظة على نمو أعداد المسلمين وتزايدهم.

إلا أننا اليوم لا نشعر أن هذا التفوق الديني والعقائدي الذي نمتلكه قد انعكس على واقع مجتمعاتنا الإسلامية ودفعها باتجاه الارتقاء والتقدم والرفاهية، بل العكس هو الصحيح إذ نجد هذه المجتمعات ضعيفة خانعة متفرقة يشيع فيها الفساد والمظالم! وكان من المفترض أن يدفع التفوق الديني الإسلامي أتباعه نحو المزيد من الالتزام بمبادئ الدين وأحكامه لأجل أن يسود مجتمعاته العدل والإنصاف وتشيع روح المودة والرحمة والمشاركة في ما بين أفراده فتحفظ كرامة الإنسان وتصان حقوقه.

إن الأمر في غاية الأهمية ويدعو لمحاولة جادة في فهم الأسباب الحقيقية التي ساهمت في خروج المجتمعات الإسلامية من حالة القدرة على تطبيق نصوص الإسلام وأحكامه والالتزام بها على مستوى التطبيق والعمل.

الغرب ومحاولاتهم إضعاف الإسلام.

سبق أن تحدثنا عن تلك المحاولات القديمة للنيل من الإسلام التي لم يتمكن الغرب من تحقيق اهدافه خلالها بعد أن عجز عن إثبات عدم صحة نبوة سيدنا محمد ص، أو الطعن بسلامة القرآن الكريم ومصدره الإلهي عبر دراساته وبحوثه وجهوده طوال قرون من الزمن وبأيدي عدد كبير من العلماء والمفكرين ممن عرفوا باسم المستشرقين ([1]) .

يبدو أن الغرب تنبه الى أن المضي في دراسة القرآن ونبوة سيدنا محمد. لن تجديهم نفعاً ولن يحققوا معها الاهداف المرجوة لذلك عمدوا الى تغيير هذا المنهج عند نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين حيث بدؤوا بالتركيز على بنية المجتمع الإسلامي والعمل على تفتيتها عبر تحفيز العديد من نقاط الخلاف بين مذاهب هذا المجتمع وإشعال الفتن في ما بينهم، كذلك العمل على إبعاد المسلمين عن تعاليم دينهم وما يدعوهم إليه من أخلاق إنسانية رفيعة عبر السعي لإدماجهم ضمن منظومات أخلاقية وسلوكية جديدة تحوي العديد من أفكار الانحراف والفساد التي ينبذها الدين الإسلامي .

لأجل إدراك حجم التأثير على المجتمعات الإسلامية ومحاولة إبعاد المسلمين عن الالتزام بأحكام الإسلام ومبادئه ضمن مخططات غربية نتابع نموذجين: النموذج الأول لمسلمين يقيمون في بيئة غربية ويخضعون لأنظمتها وقوانينها التي تحقق نسبة عالية من العدالة الاجتماعية وانصاف وتكريم الإنسان وتصون حقوقه. هذا النموذج من المسلمين لن يعاني أصحابه في مسألة الالتزام بالقوانين والأنظمة السائدة في تلك البيئة فلا يعتدي أحدهم على غيره ولا يفكر بالسرقة لأن حاجاته متوفرة ولا يُكفر الخرين أو يستبيح دماءهم بل يحترم الناس ويحفظ حقوقهم، وكل هذا بطبيعة الحال مما يوصي به الدين الإسلامي ويدعو له من خلال أحكامه ومبادئه، لذا فإن المسلم ضمن هذه البيئة سيشعر أن هنالك مشتركات في دينه والقوانين التي يخضع لها تدعوه جميعها الى مسار واحد مما يسهل عليه الالتزام والعمل بذلك.

أما النموذج الثاني فهو لمسلمين يقيمون في البيئة الشرقية، وهؤلاء من الصعب عليهم أن يحققوا ذات الالتزام الأول بمبادئ وأحكام الإسلام، لأنهم يتعرضون لمخططات كبيرة تسعى لحرفهم عن الدين. إن

(1) ينظر. الغزالي، مشتاق بشير، القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، دار النفائس، بيروت، 2008، 37-36 .

شيوع نظم وممارسات جديدة داخل المجتمعات الإسلامية في البيئة الشرقية تؤشر الى حجم المؤامرة والتدبير لتفتيت بنية هذه المجتمعات، فكثرة المظالم وتفشي الرشوة والممارسات المحرمة المنبوذة دينياً وتكفير الناس واستباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم ما هي إلا علامات واضحة لوقوع حالة الانحراف عن روح الدين وجوهره الأصيل وتعاليمه الإنسانية القائمة على العدل والإنصاف، وهو ما يؤكد بما لا يقبل الشك ان التدخلات الخارجية المخطط لها من قبل الغرب ساهمت بشكل واضح في هذه الأحوال المزرية التي وصلت إليها المجتمعات الإسلامية في الشرق..

إن احوال المسلمين اليوم وما يمرون به من مشاكل كبيرة ليست عفوية بل هي نتيجة لمخطط كبير أنفقت عليه أموال طائلة. لقد وجد الغرب أن الطرق السابقة التي سلكها في مواجهة الإسلام لم تجد نفعاً ولم تضعف هذا الدين وتقلل من تأثيره، لذلك لجأ الى تفتيت بنية المجتمعات الإسلامية والعمل على إحداث انحراف في الجوانب الفكرية والاجتماعية والأخلاقية وحتى العقائدية لأجل أن يتحول المسلمون حسب مخططهم الى حالة جديدة يضعف فيها الالتزام الديني أو ينعدم، حالة لا يبقى فيها من الإسلام سوى الاسم وبذلك يتحقق هدفهم في إضعاف الدين وتشتيت أتباعه الى أطراف متعددة، يتصارعون في ما بينهم مبتعدين تماماً عن روح الإسلام وجوهره.

ليس غريباً بعدما ذكرناه القول إن معظم المشاكل التي تقع في العالم من حروب ونزاعات وعداء بين الشعوب وتكفير واستباحة للدماء وتدمير المدن تتركز داخل المجتمعات الإسلامية، ومن المؤكد أن هذه العدوانية المفرطة تتعارض تماماً مع ما دعا إليه الإسلام من التسامح والمودة والأخوة، إلا أن المحفزات الخارجية المرتبطة بالغرب وضمن المخطط الذي ذكرناه كان لها الأثر البالغ في بلوغ المسلمين هذه النتائج المدمرة. وليس غريباً أن تتضرر المجتمعات الإسلامية جميعها وتبقى تعاني من الإحساس بمخاطر تهدد وجودها وبقاءها وثرواتها. إن المؤامرة كبيرة على الشعوب المسلمة في مشرق الأرض، ففي الوقت الذي نرى فيه أحوال المسلمين على هذه الصورة البائسة في المشرق لا نراها عند إخوانهم المسلمين في الغرب فلا وجود للعداء ولا للاقتتال لأنهم ببساطة لم يشملهم المخطط التخريبي الذي عمل على تفتيت بنية المجتمع الإسلامي، فضلاً عن ذلك فهم يخضعون لقوانين وأنظمة تحقق نسبة عالية من العدالة الاجتماعية، والمقارنة البسيطة التي أجريناها لنموذجين من المجتمعات الإسلامية وضحت لنا حجم المؤامرة والمخطط الغربي لإضعاف الديانة الإسلامية وتدميرها.

مستقبل الإسلام على مستوى العالم

لابد لنا من بناء تصور لمستقبل الإسلام على مستوى العالم يكون مبنيا على أساس المعلومات التي اخذت تتوافر خلال العقدين الاخيرين عبر تقارير واحصائيات علمية دقيقة صدرت عن مراكز بحثية مرموقة في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً عن رؤيتنا الفلسفية الخاصة.

إن الديانة المسيحية مازالت في تراجع مستمر ضمن البيئة المركزية لها ونعني أوربا والولايات المتحدة الأمريكية. هذا التراجع سيزداد خلال الخمسين عاماً القادمة مما قد يدفع القائمين على قيادة الغرب الى التحرك باتجاه المحافظة على مكانتهم على مستوى العالم في الجانب الديني، ولا يتحقق ذلك إلا بالتحول من المسيحية الى الإسلام، عبر خلق حالة إدماج ومواءمة بين قسم من التعاليم والمبادئ والأحكام الإسلامية من جهة وبين الأنظمة والقوانين المعمول بها في دول الغرب من جهةٍ أخرى، فينتج عن ذلك إسلام مختلف بنسبة كبيرة عن الإسلام الذي نعرفه في بلدان الشرق المسلمة، وسيبدو أن ثمة فارقاً كبيراً بين هذا الإسلام الذي سيتبناه الغرب، وبين الإسلام السائد في الشرق. إن المقومات التي يمتلكها الغرب كالقوة والاقتصاد وقيادة المجتمع الدولي ستمنحه القدرة على تقديم الإسلام الغربي على أنه النموذج السليم للدين والممثل الحقيقي لشريعة النبي محمد. خاتم الانبياء

والمرسلين، في مقابل الإسلام الشرقي الذي سيتم التعامل معه على أنه انحراف عن الدين الحقيقي وهو اقل مرتبة وقيمة من الصورة الأولى للإسلام، تماماً كما تم التعامل مع مسيحيي الشرق خلال مرحلة العصور الوسطى ووصفهم بأصحاب الأساطير والخرافات والهرطقة.

إنه من الطبيعي جداً أن يظهر هذا الفارق بين النموذجين، فالنموذج الغربي سيساهم في إنجاحه المشتركات التي تجمع بين عدد من احكامه ومبادئه مع القوانين الغربية التي تؤكد العيشَ الكريم للإنسان والعدالة والانصاف في الحقوق، فضلاً عن طبيعة الحياة السائدة ومستوى الوعي والاستجابة لهذه الاحكام والقوانين. في حين أن المسلم في الشرق لا يتحصل على حقوقه بسهولة، كما أن طبيعة الحياة هناك قائمة على الفوضى وعدم الانصاف ومستوى الوعي والاستجابة للأحكام والقوانين ضعيفة جداً. لذا فإن الإسلام في الغرب سيظهر بصورة متفوقة جداً ومختلفة عن الإسلام في الشرق. يدعم هذا الأمر ويساهم في استمراره الإصرار الغربي على البقاء ضمن خانة التفوق على مستوى العالم.

في تقديري، إن هذا التحول، لو تم كما افترضناه في حدود المائة عام المقبلة، سيمنح العالم تحولاً كبيراً على مستوى الأديان فيخضع لدين واحد فقط هو الإسلام. وستتم عملية التحول للإسلام في البيئات غير المركزية كالشعوب الإفريقية المعتنقة للمسيحية بسرعة وسهولة تقليداً واتباعاً للبيئة المركزية للمسيحية، وسوف تساهم أوربا والولايات المتحدة الأمريكية في ذلك بشكل فاعل لأنه سيؤدي الى ترسيخ قيادتهم للعالم دينياً بعد أن كانوا في حالة تراجع وضعف مستمرين.

أما المسيحية ففي ظل هذا التفوق والانتشار الإسلامي السريع فإن عدد أتباعها سيتقلص كثيراً ولن يبقى منهم إلا تجمعات صغيرة جداً لن يكون لها أي تأثير كجزء من الحرية الدينية الممنوحة في البيئات الغربية.

مصادر البحث

- القرآن الكريم.

(1) بارنز، هاري المر، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبدالرحمن برج، الهيئة المصرية العامة للكتاب،. القاهرة. 1984).

(2) جنيبير، شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة عبدالحليم محمود، المكتبة العصرية، بيروت، لا.ت.

(3) ذهيبات، عباس، دور العقيدة في بناء الإنسان، منشورات مركز الأبحاث العقائدية، قم، 2005م .

(4) رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، 1967م .

(5) الغزالي، مشتاق بشير، القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، دار النفائس، بيروت، 2008 .

(6) الغزالي، مشتاق بشير، الوحي والقرآن ومستقبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، 2017 .

(7) فودة، أحمد، الغرب وسرعة انتشار الإسلام في العالم، مقال منشور في جريدة بوابة الشرق الإلكترونية، (الاربعاء 8/4/2015) .

(8) مركز بيو للأبحاث على الموقع الإلكتروني. org.pewresearch.www

(9) Watt, Montgomery ,Isamic revelation in the modern world,Edinburgh, 1969 .